

الشهادة تولد العز والأعزاء



الهدف:

بيان أثر الشهادة في استنزال النصر ودماء الشهداء يولد العز.

تصدير الموضوع:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا﴾ (١).

محاور الموضوع

- ١ - النصر من عند الله
- ٢ - بين النصر والهزيمة
- ٣ - مواصفات النصر الإلهي
- ٤ - الشهادة تستنزِل النصر
- ٥ - دماء الشهداء ولادة العز
- ٦ - خاتمة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

مقدمة:

النصر من عند الله

بمقتضى الإيمان بأن الله تعالى هو المؤثر الوحيد في عالم الوجود، بل هو الفاعل الحقيقي، كان قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (١).

فالنصر حصراً بيد الله تعالى. وهذا لا يعني أن لا عبرة بالأسباب الظاهرية، بل يعني أنه تعالى هو مسبب كل سبب.

ولذا أمرنا الله تعالى أن نأخذ بالأسباب المفضية إلى تحقيق النصر والغلبة من خلال إعداد ما أمكن إعداده من خطط وتدريب وتجهيز وتهيئة نفسية ومعنوية، فقال عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٢).

فالتفريط بأسباب القوة

إهداراً لفرصة النصر والغلبة والفتح، فإن كان النصر من عند الله فعلياً أن نوجد الأسباب التي تستنزله.

مواصفات النصر الإلهي:

وإذا أردنا أن نميّز بين النصر الإلهي وغيره، يمكن ذكر بعض هذه المواصفات:

١- المنصور إلهياً لا يغلب:

هذا ما أرشدت إليه الآية التالية: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٣).

٢- النصر الإلهي مع التثبيت:

﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٤).

فكم من مناصر في التأريخ حقق الغلبة العسكرية، لكن ما لبث أن زال ملكه وسلطانه، حيث لم يتجاوز نصره الجنبه العسكرية، وقد آلت الأمور إلى

عدوه الذي غلبه أو إلى غيره. فانهزمت مبادؤه وأخلاقه وثقافته أمام ثقافة وأخلاق ومبادئ غريمه. ويكفي في عاشوراء ونتائجها شاهداً.

٣- المدد الغيبي:

وهو أهم ما يميّز النصر الإلهي، وهو قد يحصل بالأسباب المنظورة كالنوفيق في الوسائل المفضية إلى إيجاد القوة والقدرة القتالية الموصلة إلى النصر، أو الظروف النفسية والمعنوية المساعدة على الانتصار لجهة المؤيدين، والهزيمة لجهة المخذولين، قال تعالى في ذلك: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لِّمَن نَّرْوَاهَا﴾ (٥).

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (٦).

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٤) سورة محمد، الآية: ٧.

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

الشهادة تستنزل النصر

إنَّ أهمَّ عنصر وصِفَة للنَّصر الإلهي، هو كونه مؤبداً من الله بالمدد والتوفيق الإلهيين. وبالتالي فإنَّ لهذا التأييد والتوفيق والمدد، أموراً تستدعيه وتكون سبباً لاستنزاله، منها: الإيمان، وحقانية القضية بمعنى مشروعيتها لتكون فعلاً نصراً لله تعالى، وتطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ بِصُرْكُم وَيُنَبِّئُ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١). قال أمير المؤمنين علي: فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرائه، ومتبوعاً أوطانه،^(٢). كاشفاً عن علة استنزال المدد الغيبي، وهو الصدق في المواطن، ويتجلى في الاستعداد للتضحية والفداء وأعمالها الإستعداد للشهادة التي هي أهمُّ مُتَبِّتٍ للصدقية والثبات، وأفضل وسيلة لاستنزال المدد الغيبي، والنصر الإلهي من جهة الشهداء ومن يبقى بعدهم ويتحمَّل ألم فقدمهم، ويرى تقطع أوصالهم ومع ذلك يتبع خطوهم.

وقد يكون كلام الإمام علي عليه السلام ترجمة لقوله تعالى: ﴿يَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾^(٣).

ثم يقول بعدها: «ليجزي الصادقين بصدقهم»... والجزاء لهؤلاء الصادقين المقسومين إلى قسمين: قسم مات أو قتل في سبيل الله على الصدق، وقسم حيّ باقٍ على الصدق لم يبدل جزاؤهم هو: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَبَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٤).

دماء الشهداء ولادة العز:

إنَّ من أبرز آثار جهاد المجاهدين وشهادة الشهداء أنها أولاً تصنع العزَّ الأبدي لهم وللأمة ولعواظهم، فالأمة التي فيها شهداء صدقوا فيما عاهدوا الله عليه من بذل النفوس، وفراق الأحبة، ومكابدة المشاق، وعناق السيوف، ومجاهدون يقفون آثارهم، ويتبعون خطوهم، هذه الأمة ستكون مرهوبة الجانب من أعدائها، وهذا بعض بل أهمُّ العدة التي أمرنا بإعدادها للأعداء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ لأنها تشكل قوة معنوية ولادة للأنفس العزيزة والأبوية والمقدامة والشجاعة، وبالتالي الأمة العزيزة المستقلة المصونة حدودها من اعتداء المعتدين وعبث العابثين.

ولهذا الدم أثرٌ عايناه وعشناه وهو أنه يؤثّر في المحيط القريب من الشهداء، فتغيّر في نفوسهم وتجعلهم إضافة إلى كونهم عزيزين ذوي استعداد للجهاد والشهادة، فكم من شهيد لم يلبث أن سلك أبنائه طريقه فحاضوا غمار الجهاد، ومنهم من لم يلبث أن تبع أباه والتحق به شهيداً، فكما ورث عنه العزة والإباء ورث عنه الروح الجهادية، ليرد على أبيه في عليائه في مقعد الصدق عند الملك المقتدر من نفس كوة النور التي فتحتها له أبوه وهي الشهادة.

خاتمة:

إن عطاء الدّم والشهادة وبيانهما أفصح من كل بيان، وأكثر أثراً من كثير من التعليم والتربية، فكان دم الشهيد وعرق المجاهد يتحول إلى لسان ناطق يجلجل ندائه في أعماق النفوس حاثاً لها على التضحية والإباء والفداء، وعلى الإقدام وتحمل مشاق وأهوال الحرب والمعارك، واسترخاض كل غالٍ في سبيل ذلك.

فالشهداء: ﴿وَسَيَبْشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، والأبناء والأصدقاء والإخوان: «يصبحون مصداقاً للآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾».

والفريقان معاً لهم الوعد الإلهي: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.



(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٤ (محمد عبده).